



## كا العراق

### الحارس في حقل الجمال

صدام الجميلي \*

تعرضت الذاكرة العراقية لعقود طويلة من التخريب والهدم، وقد طالها ما طالها من إحصاء وتشويه بسبب الحروب والسياسة التي أفقدتها الكثير من قوتها ووجهها. ويعد الفن من أكثر المفاصل تأثراً بفعل هذا التدمير، نظراً إلى أن تلك الأعمال الفنية هي وثائق بحد ذاتها تشير إلى تاريخها ووعي مجتمعا، ويسبب ما تعرضت له المتاحف من سرقات وتدمير وإهمال الدولة في توثيق وحفظ الإرث البصري. كان النزيف الثقافي يشكل واحداً من أخطر ما سعيانه تاريخنا الفني والإنساني، إذ أن بعض الفنانين لا نجد لهم اليوم ما يُذكر من تجاربهم الشخصية. وعليه فإن غياب الوثيقة سيؤسس لغياب الثقافة وحركتها وتاريخها، وقد رتنا على مراجعتها ودراستها. روح الثقافة ذكرتها وقوتها التي تمنحها الحياة. وبالتالي، فإنها قوة تاريخية تأخذ فاعليتها إثر الزمن وتراكماته. ويشكل المعرض الاستعادي للفنان

ضياء العزاوي، بمثابة خطوة غاية في الأهمية بالنسبة إلى الفن العربي لأسباب كثيرة، منها مكانة الفنان في تاريخ الفن العربي والعراقي. إذ يعد واحداً من مؤسسي المشهد الحدائثي في الفن العربي، بل يشكل مزاجاً مختلفاً يتصف بتأصيل الصورة داخل البناء المعرفي. عمل كثيراً على توظيف واستعارة الأدب والكتاب وقيمته، كما يعد واحداً من مؤسسي كتاب الفنان في الثقافة العربية، فضلاً عن التنويعات التي اشتغل عليها ضمن مسيرته الفنية الحافلة باللون، وتجسيدهات المتعددة، والشكل وغنائته، وانضباطه وتبسيطه، بين تشخيص مرة وتجريد مرة أخرى. بل إن عمله امتد إلى تقنيات مختلفة وصولاً إلى استعارة الكراسي والسجاد وتوظيفهما في إنتاج أعمال فنية خالصة، فما تتصف به تجربته من تحولات مهمة بحاجة لأن توضع بشكل متجاوز لإدراك مدى غناها على مستوى الوعي بالصورة، ومن ثم القدرة على المقارنة والإدراك، وفهم النسق العام لتجربة الفنان ووعيه، واستيعاب كل جزء ضمن ذلك النسق. هذا

\* فنان عراقي مقيم في عمان

### معماري التكوينات في أناشيده اللونية

فاخر محمد \*

التحولات التي طرأت على مجمل إنجاز ضياء العزاوي منذ أواسط الستينيات، تكشف عن جملة من التقنيات والرؤى للفن بشكل عام والجمال بشكل خاص. الفنان يستند أصلاً إلى ثقافة بصرية ومعرفية كبيرة، حيث ثقافته ذات الجذور الرافدينية جعلته يستمد طاقته الجمالية للأشكال من بئر عميق. وسنوات اشتغاله في المتحف العراقي واطلاعه على الكثير من اللقى والتماثيل والأعمال الأثرية المهمة للعراق القديم، كلها أكسبته خبرة بصرية وروحية كبيرة. يضاف إليها اطلاعه وعيشه وعمله منذ بداية السبعينيات في بريطانيا، وامتلاكه ما يمكن تسميته بالثقافة الإنسانية الشاملة والعابرة للمحيط المحلي والجغرافي.

إقامة معرض استعادي شامل لضياء العزاوي، فرصة مهمة للاطلاع على العديد من النتاجات الإبداعية وآلية إخراجها، فالقيمة المهمة هنا هي في التوصلات الإبداعية للأعمال، لأنه من الفنانين العراقيين الذين أحدثوا نقلة نوعية على صعيد الشكل أو التكوين منذ خمسة عقود. بعد مرحلة جيل الرواد وجماعة بغداد للفن الحديث، حصلت انتقالاً مهمة في جيل الستينيات، ضمن إطار كيفية الرؤية للشكل واستخدام الأساليب الجديدة للكشف عن النظرة المعاصرة للفن الحديث، ومحاولة نقل المشهد التشكيلي العراقي من المحلية إلى العالمية.

مجمل هذه التحولات بدأت مع استخدامه للرموز والأشكال التراثية العراقية والحرف، مروراً باستخدامه للأسطورة والحكايات الشعبية، وصولاً إلى تجاربه الأخيرة في استخدام

استخدامه للون الأسود ودرجاته أو في كيفية تحريك فضاءاته بخطوط ملونة، تتشكل بالجمال عوالم بصرية تشبع العين والروح. ضياء العزاوي معماري في تكويناته، أنه يتابع جزئيات عمله وطرقه الخفية ليذيبها بوحدة تجمع ظاهر العمل وباطنه، أبعاده محسوسة بالحدس وليس بالعقل فقط، فبالرغم من وجود رؤية تصميمية لأشكاله، إلا إنها تسبح في فضاء حر، وهذا أمر طبيعي لفنان أكمل سنواته الخمسين في مواجهة السطح التصويري ومشكلة الإبداع، الحرية هنا لها صلة بالعمر والتجربة الطويلة والخبرة والطلاقة الخلاقة التي تكسب الفنان مرونة الحركة والمناورة مدعمة بطاقة روحية، بنحو جعلت توصلاته الجمالية في مجمل أعماله، تحمل نوعاً من الحنين لجذوره الأولى، ربما الإيمان أو الإشارة من بعيد لأوجاع وطن أو أناشيد لونية تكشف عن آئين خفي. لعلها صور بديلة لذاكرة وطن ومكان وتاريخ يضاف لها وعي متراكم لمشكلة الحياة والموت، كل هذه القوى أسهمت في هذا الانجاز الكبير.

المعرض الاستعادي للفنان ضياء العزاوي في الدوحة، استحقاق حضاري وثقافي وإنساني بعد كل هذه السنين الطوال في خوض غمار الفن والإبداع، خاصة أنه يقام في زمن ووقت تعاني فيه الثقافة العربية من مشكلة كبيرة أمام تحديات وردات ضخمة ولدها العقل المغلق والتطرف الديني وثقافة الكراهية، ربما يكون هذا المعرض أشبه بإعادة البوصلة لمركب الجمال في الحياة وتعزيز قيم الإنسان في وسط ثقافي وحضاري شامل وكبير.

\* فنان وأكاديمي عراقي

شروط يمكن للمكان أن يؤدي حتى هذا الغرض.

\* معرض «أنا الصرخة، أية حنجرة تعزفني؟ ضياء العزاوي: معرض استعادي (من 1963 حتى الغد)»، «متحف: المتحف العربي للفن الحديث» و«غاليري متاحف قطر» (قاعة الرواق) - من 16 تشرين الأول (أكتوبر) حتى 16 نيسان (أبريل) 2017. mathaf.org.qa

إشاعة روح الانتقام لا المصالحة، وقبول الطائفة أو العشيرة كمظلة لا الوطن. أما ما تشير إليه عن العلاقة مع الجمهور، فهي المسؤولية الفعلية لإدارة المتاحف وما تمتلكه من رؤى قاصرة على احتضان تنوعات المجتمع واختلافاته، وهذا ما لا تجده في العديد من البلدان العربية التي تحولت فيها المتاحف إلى مستودعات خزن خالية من أي

عبر امتدادها المجتمعي الواسع والعاير للمفاهيم الدينية المتسلطة أو الطائفية بكل عماها التاريخي، بل ضمن كانتونات مغلقة هي بذرة الاختلاف المستقبلي.

خلال متابعة أعماله عبر هذه السنوات، لا يمكن لأي باحث أن يقفز على مجموع هذه النتاجات التي هي شهادة إداة على كل المستويات لكل من أسهم في عملية التدمير عبر

والغاء المجتمعات المختلطة الشائعة في مناطق مختلفة في العراق، وفي حلول تعريفات «المكون» ذات المرجعية الطائفية التي حرصت عليها دولة بريمر وما تبعها، بدعم من الأحزاب التي حملتها الدبابات الأميركية أو من جاء وقد هيئاته المخابرات الأميركية ليكون مستشاراً ثقافياً أو سياسياً هدفه المعلن هو دعم الثقافة الوطنية، لا

لست على قناعة من تعبير الداخل والخارج. كل ما في الأمر هو أنه قد أكون أنا أو محمود محظوظين بوجودنا في الخارج، لكن ذلك لا يعني انفصالنا عن العراق كوطن. قد نختلف عما هو شائع في التجربة المحلية، غير أننا حريصون على أن نكون أيضاً كأنموذج تحريضي لفناني الداخل رغم حرصت شخصياً على تقديمه بنص عن تجربته ضمن المطبوع الذي سيصدر بهذه المناسبة.

■ الماضي ليس شيئاً مَيّتاً ندرسه بل موقف يتخطى الزمن...» (من بيان «نحو الرؤية الجديدة» 1969)، فنياً كيف فلسفت الموقف من الماضي اليوم في ضوء الأعمال الجديدة التي سزراها في المعرض؟

هذا ما أتركه للزائر، فأنا من جيل أغرقته الهوية والقدرة على الانتساب لمراجع ذات علاقة بالمرور الوطني أو القومي ضمن ظروف عمل محلية محدودة. لم تختبر هذه المحاولات على الصعيد العربي إلا بعد نهاية السبعينيات، وظلت بعيدة عن الاختبار العالمي لفترة طويلة.

ظلت الهوية هدف تنوع أسلوبى، وأخضعتها لتبدلات مختلفة كي تبعد عن الجانب المباشر والسهل، أي إنني حرصت أكثر على معاينة الانتساب من داخله لا من علاماته الخارجية ولا من تزييناته المعرفية لجامعي الأعمال. بعد كل هذه السنوات، كان لا بد لي أن أبعث أعمالى عن فعل الارتباط بتنشيط الذاكرة العاطفية أو روح الحنين للماضي، لكنني أيضاً سعيت ما في وسعي لجعلها مرة لقناعاتي الشخصية وللتبدلات الثقافية والفنية التي واجهتها ضمن هذه السنوات.

■ الانهيارات العربية، وفي الصدارة منها العراقية، أي شكل من العلاقة فرضته على صلة الفنان بالتجريب أولاً، وبالثبات على التجديد الذي عهدناه منذ خمسينيات القرن الماضي، وعلى بعد العلاقة مع الجمهور الذي يُباد أو يوشك أن يتعرض للإبادة والسحق هنا وهناك؟

- الانهيارات العراقية بالذات لها صداها منذ التسعينيات. تمثلت في الغالب ضمن سلسلة لوحات حملت عنوان «بلاد السواد»، وفي النحت حملت عنوان «الروح المعذبة». في كليهما، هناك متابعة لبرنامج التدمير غير المنظور للمجتمع بإثارة الفتنة عبر التطهير الاجتماعي